

اثر البنية الفكرية في النهضة الحضارية جمال الدين الأفغاني أنموذجا

The impact of the intellectual structure on the civilized renaissance Jamal al-Din al-Afghani as a model

د. وعد صبار محمد

العراق

تاريخ القبول: 2019 / 12 / 15

تاريخ الاستلام: 2019 / 10 / 15

ملخص

إن البلاد الإسلامية كانت تعيش في سبات وتحلف وظلام في القرن التاسع عشر، وكانت تحت وطأة الاستعمار ونير الاستبداد، وكانت متفرقة ممزقة ومتخلفة عن الأمم الأخرى الذي سبقتها في المجالات كافة، حتى جاء صوت يصرخ وينادي في الأمة يدعوها إلى الإصلاح ويوقظها من نومها الطويل، إلا وهو موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني الذي كان يدعو إلى الحرية، ووحدة الأمة، والعودة إلى القرآن الذي فيه عز الأمة ومجدها.

ولهذا كانت هذه الأفكار النهضة التي جاء بها جمال الدين الأفغاني دافعا لي لبحثها ودراستها ومعرفة حقيقة هذه الأفكار التي شكك بها المبطلون، ولا يخلو هذا البحث من أهمية كبرى؛ كون هذه الأفكار النهضة والإصلاحية التي جاء بها الأفغاني تصلح أن تنهض بأممتنا اليوم وتستفيد منها أيما فائدة في جميع المجالات وخصوصا السياسية منها والدينية، وقد اعتمدت في بحثي المتواضع المنهج التاريخي.

الكلمات المفتاحية: البنية الفكرية، النهضة الحضارية، جمال الدين الأفغاني، التطور، الإسلام.

Abstract

The Islamic countries were living in slumber, backwardness and darkness in the nineteenth century, and they were under the weight of colonialism and the yoke of tyranny, and they were scattered, torn and lagging behind other nations that preceded them in all fields, until a voice came screaming and calling in the nation calling for reform and awakening it from its long sleep, except He is the awakening of the East and the philosopher of Islam Jamal al-Din al-Afghani, who used to call for freedom, the unity of the nation, and a return to the Qur'an in which the nation's glory and glory.

This is why these renaissance ideas that Jamal al-Din al-Afghani brought to me motivated me to research and study them and find out the truth of these ideas that the invalidators questioned. This research is not without great importance; The fact that these revival and reformist ideas that Al-Afghani came up with are suitable to advance our nation today and benefit from them greatly in all fields, especially the political and religious ones, and I have adopted in my humble research the historical method.

Keywords: Intellectual structure, civilizational renaissance, Jamal al-Din al-Afghani, evolution, Islam.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن البلاد الإسلامية كانت تعيش في سبات وتخلف وظلام في القرن التاسع عشر، وكانت تحت وطأة الاستعمار ونير الاستبداد، وكانت متفرقة ممزقة ومتخلفة عن الأمم الأخرى الذي سبقتها في المجالات كافة، حتى جاء صوت يصرخ وينادي في الأمة يدعوها إلى الإصلاح ويوقظها من نومها الطويل، إلا وهو موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني الذي كان يدعو إلى الحرية، ووحدة الأمة، والعودة إلى القرآن الذي فيه عز الأمة ومجدها.

ولهذا كانت هذه الأفكار النهضة التي جاء بها جمال الدين الأفغاني دافعا لي لبحثها ودراستها ومعرفة حقيقة هذه الأفكار التي شكك بها المبطلون، ولا يخلو هذا البحث من أهمية كبرى؛ كون هذه الأفكار النهضة والإصلاحية التي جاء بها الأفغاني تصلح أن تنهض بأممتنا اليوم وتستفيد منها أيما فائدة في جميع المجالات وخصوصا السياسية منها والدينية، وقد اعتمدت في بحثي المتواضع المنهج التاريخي.

وقد أسميت بحثي هذا (اثر البنية الفكرية في النهضة الحضارية جمال الدين الأفغاني أنموذجا) وقد ارتأيت أن اجعل خطت بحثي كالآتي التمهيد: وقد ذكرت ترجمة عن حياته.

المبحث الأول: المدخل إلى التعريفات، وقد قسمته إلى مطلبين: المطلب الأول: تعريف الفكر لغة واصطلاحا. المطلب الثاني: تعريف النهضة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أفكار جمال الدين الأفغاني، وقسمته إلى مطلبين: المطلب الأول: أفكاره النهضة السياسية، المطلب الثاني: أفكاره النهضة الدينية.

التمهيد: جمال الدين الأفغاني، اسمه ونسبه حياته وفاته:

1. اسمه ونسبه: هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الأفغان.
2. ولد في قرية (اسعد آباد) من قرى كثر سنة 1245 هجرية.
3. نشأته: نشأ في مدينة كابل وفي الثامنة من عمره اجلس للتعليم وعنى والده بتربيته، وتلقى علومها ابدع في جميعها فمنها العلوم العربية نحو وصرف، ومعان وبيان، وتاريخ، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وأصول فقه، والعلوم العقلية من منطق وحكمة، وعلوم رياضية من حساب وهندسة، وكذلك درس علم الطب والتشريح⁽¹⁾.
4. أما حياته: فقد تنقل في بلدان عديدة، ففي الثامنة عشر من عمره ذهب إلى الهند وأقام بها سنة وبضعة اشهر، وبعدها انتقل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ومكث فيها سنة وهو يتنقل من بلد إلى بلد، ثم لأمر سياسي اضطر لترك بلده واتجه إلى الهند؛ ثم تركها مضطرا بعد أن عاملته الحكومة الهندية بجفوة، ثم انتقل إلى

- مصر ومكث فيها أربعين يوما تردد فيها على جامعة الأزهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا إليه كل الميل، وبعدها ذهب إلى الاستانة، ثم مازال ينتقل شرقا وغربا ينصح ويصلح حتى استقر في الاستانة.
5. وفاته: توفي الأفغاني 5 شوال سنة 1314 هـ الموافق لـ 9 مايس سنة 1879م، وسبب وفاته إصابته بسرطان اللثة بسبب كثرة التدخين، وأجريت له عملية لكنها لم تنجح⁽²⁾.
6. من مؤلفاته: (الرد على الدهريين) و(تاريخ الأفغان) و(مجلة العروة الوثقى) التي كانت من أفكار الأفغاني، وصياغتها من تلميذه محمد عبده⁽³⁾.
7. أشهر مقالاته: ((الشرق! الشرق؟ وقد خصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحري دوائه فوجدت اقتل أدوائه وما يتعرض في سبيل توحيد الكلمة فيه - داء انقسام أهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف! فقد اتفقوا على أن لا يتفقوا ولا تقوم على هذا القوم قائمة))⁽⁴⁾.

المبحث الأول: المدخل إلى التعريفات

المطلب الأول: تعريف الفكر لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: تعريف الفكر لغة: ((قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها))⁽⁵⁾.

وجاء في لسان العرب: ((فكر: الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء))⁽⁶⁾.

وفي القاموس المحيط: ((الفِكْرُ، بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء))⁽⁷⁾.

الفرع الثاني: تعريف الفكر اصطلاحاً: ((الفِكْرُ: ترتيب أمور في الذهن يُتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً))⁽⁸⁾.

وفي التعريفات: ((الفكر: ترتيب أمور معلومة لتأدي إلى مجهول))⁽⁹⁾.

وجاء في كتاب نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر يقول فيه: ((وقد خرجت من خلال دراستي لما ورد في هذه المصادر بان الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلباً أم روحاً أو ذهنًا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء))⁽¹⁰⁾.

ومما سبق يتبين لنا: أن الفكر في الاصطلاح هو أوسع من اللغة لأنه يكون في العقل، والقلب، والروح، أما في اللغة فيكون في العقل.

المطلب الثاني: تعريف النهضة لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: تعريف النهضة لغة: النهضة من: (نَهَضَ، النَّوْهُ وَالْهَاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ فِي عُلُوٍّ. وَنَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ: قَامَ. وَمَا لَهُ نَاهِضَةٌ، أَيُّ قَوْمٌ يَنْهَضُونَ فِي أَمْرِهِ وَيَقُومُونَ بِهِ. وَيَقُولُونَ: نَاهِضَةُ الرَّجُلِ: بَنُو أَبِيهِ الَّذِي يَعْصِبُونَ لَهُ⁽¹¹⁾).

وقيل أيضاً في تعريفه اللغوي: (نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضًا وَهُوضًا، أَي قَامَ. وَأَنْهَضْتُهُ أَنَا فَانْتَهَضَ، وَاسْتَنْهَضْتُهُ لِأَمْرٍ كَذَا إِذَا أَمَرْتَهُ بِالنُّهُوضِ لَهُ، وَنَاهَضْتُهُ، أَي قَاوَمْتَهُ، وَنَاهَضَ الْقَوْمُ فِي الْحَرْبِ، إِذَا نَهَضَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى صَاحِبِهِ، وَنَهَضَ النَّبْتُ، إِذَا اسْتَوَى، وَنَهَضَ الطَّائِرُ، إِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ لِيَطِيرَ، وَنَاهَضَ: فَرَحُ الطَّائِرِ الَّذِي وَفَّرَ جَنَاحَاهُ وَنَهَضَ لِلطَّيْرَانِ⁽¹²⁾).

يتضح من المعنى اللغوي أنَّ المراد من النهوض هو الارتفاع إلى علوٍ، أو هو عصبية الرجل في قومه، وقد يكون معنى النهوض في بعض تعريفاته قريباً من المعنى الاصطلاحي المراد منه، فالنهضة في حقيقتها الارتفاع إلى علوٍ، فكرياً كان أو اقتصادياً، أو غيره من مقاصد النهضة.

الفرع الثاني: تعريف النهضة اصطلاحاً: إنَّ الحديث عن النهضة يستدعي الرجوع إلى أصل المصطلح، فهو مصطلحٌ غير إسلامي أو عربي؛ بل هو مصطلحٌ غربي وضع للدلالة على النهضة الأوروبية ثم نقل إلى الثقافة العربية، لكن هذا النقل لم يسلم من تعديل وتوجيه وتهذيب، ومنهم من قبل المعنى من غير شروطٍ أو مقاييسٍ لظرفِ الحالِ والزمانِ والمكانِ، فخصوصيتنا العربية والإسلامية ومفارقتنا للغرب في جوانب فكرية وعقدية كثيرة توجب علينا أن نُؤسِّم ونعرب المصطلحات بما يتوافق مع عقيدتنا ومجتمعنا، من هنا كان لابد من أن نعود إلى أصل الكلمة في مبنائها الأول، ثم نعود إلى تعريبها وأسلمتها في فكرنا، لذا عرفناها في الاصطلاح الغربي والعربي والإسلامي.

أولاً: النهضة في الاصطلاح الغربي: وتطلق كلمة النهضة على (الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في القرن الرابع عشر واستمرت حتى القرن السابع عشر، وامتدت من إيطاليا إلى بقية أوروبا، وكانت تعرف باسم الإحياء لأنها أحييت التراث اليوناني وأخذت ما فيه من نظم حتى وإنَّ خالف تعاليم الكنيسة، وقد تمثل ذلك في إحياء الفلسفة الطبيعية والعلم الطبيعي، حيث أعيدت قراءة أرسطو بمنهج جديد⁽¹³⁾).

إذن فالنهضة في المصطلح الغربي هي الانبعاث والتجديد، وترك الماضي المتمثل بالكنيسة، والإيمان المتعلق بها، والرجوع إلى التراث اليوناني وما يمثله وإنَّ خالف الكنيسة وتعاليمها، بل إنَّ ارتباط النهضة الأوروبية كان بالابتعاد عن الكنيسة، وهذا هو جوهر الاختلاف بين النهضة الإسلامية وغيرها من النهضات، فهي نهضة لا تنفي أصلها بل تعتز به.

ثانياً: النهضة في الاصطلاح العربي: إنَّ الفكر العربي في مجمله أراد أن تماثل تجربته تجربة الغرب في النهضة، حتى أنَّه أيقن أن لا نهضة بغير تتبع خطواتها الغربية من غير تغيير أو تعديل، وقد أرجعوا بدء النهضة إلى حوادث اتصل بها الشرق بالغرب فكانت بدء النهضة من بدء التماس بين الغرب المتطور والشرق المتأخر، ((فعلى الرغم من شيوع مصطلح النهضة في الأدبيات الفكرية، فإننا لا نكاد نعثر على تحديدٍ دقيقٍ يقع الاتفاق عليه بين الباحثين والمفكرين، لذلك لا يجد

الباحث حين يكتب عن النهضة العربية الحديثة أي تعريف أو وصف مقنع لمفهوم النهضة، ولكن السمة البارزة لما يكتب عن النهضة هو الطابع الأيديولوجي، أي الانخراط في حركية النهضة، والسعي لأن تكون محققة للمطالب المختلفة، مما أدى إلى تحميلها أكثر مما تتحمل، لذلك بدت وكأنها تحصيل حاصل، وليست اختياريًا يتطلب قدرًا من التنظير، لتحديد وجهتها ومتطلباتها⁽¹⁴⁾.

وتتضح هذه السمة لدى الرواد الأوائل بخصوص المصطلح ودلالاته، فقد استعمل بعضهم للتعبير عن ضرورة صعود المجتمع من درجة إلى درجة أعلى عدة عبارات، مثل الترقى والشخص يقابله الهبوط والتمدن، ثم ظهرت عبارات، مثل التقدم والارتقاء، ومعها أصبح الحديث عن بذور نهضة جديدة، وعن مرادف لها هو اليقظة العربية، وتتضمن كل هذه العبارات دلالة التحرك بضروبه المختلفة من أسفل إلى أعلى، أو من طور إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، وقد تكيف مضمون النهضة منذ بدئه وتحددت طبيعته فيما يمكن إيجازه في ضرورة تحقيق الندية، ذلك ما جعل دلالة الحركة التي تتضمنها اليقظة العربية أو النهضة الحديثة، أنها حركة تركز على الحاضر والمستقبل، ولا تستلزم حركة ضمن الماضي، وإعادة تفسير التاريخ على ضوء الإشكاليات المستجدة⁽¹⁵⁾.

ثالثًا: النهضة في الفكر الإسلامي: إن لمفهوم النهضة في الفكر الإسلامي تصورًا خاصًا يكاد ينفرد به عن غيره، فإن الفكر الإسلامي بطبيعته لا يتسم بالجمود، بل إن التنوع والاختلاف ضرورة أجازها الشارع وأوجبها الواقع، والإسلام قد أقر من قبل مفهومًا يقارب مفهوم النهضة ألا وهو مفهوم التجديد، فالتجديد مصطلح يقارب النهضة بما يحويه من معنى التغيير، والعلو، والانتقال بالمجتمع من حالة إلى حالة أعلى، والتجديد مصطلح إسلامي ورد في سنة رسول الله ﷺ بقوله «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا»⁽¹⁶⁾.

ولا يمكن إغفال التجديد، فهو لفظ قد ارتبط بما تمر به الأمة أيضًا؛ وذلك لأن التجديد دعوة مستمرة للإصلاح، وسعي دائم نحو الأفضل، وهو سمة من سمات التواصل الحضاري بين الثقافات والأمم، وإذا كان التجديد هو عنوان الإصلاح، فإن الحاجة إليه تكون أكثر إلحاحًا إبان الأزمات والنكسات في تاريخ الأمم والحضارات⁽¹⁷⁾.

وعلى تنوع مشارب التيار الإسلامي من التي تناولت مفهوم النهضة يمكن أن نوجز تعريفها بأنها ((حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي))⁽¹⁸⁾.

وقد تنوعت لتشمل مجالات العلم والدين والسياسة والاقتصاد وما إلى ذلك، فهذه الحياة الجديدة وهذا التصور الجديد لإمكانية الفعل التاريخي، وإمكانية النظر للكون بمنظار جديد، هي السمة الأساسية لما يسمى بعصر النهضة.

وهذه النهضة ليست طريقًا هينا معبدًا سبله، مؤشرة علاماته، بل هو طريق ذو شوك كثير، لا يمضي به إلا قادة ذو همم، كالجبال ذات القمم، تأخذ خير ماضيها لإصلاح مستقبلها، فإذا قمنا بالمقارنة لكلمة النهضة في واقعنا المعاصر سنجد التماثل والتماهي في حركة التيارات الإسلامية الجديدة التي تدعو إلى الارتباط بالنافع من تراث الأمة والخير من إنتاجها⁽¹⁹⁾.

المبحث الثاني: أفكار جمال الدين النهضوية

المطلب الأول: أفكاره النهضوية السياسية

كان السيد جمال الدين الأفغاني ثائرا سياسيا على الحكام المستبدين، وكان يسعى إلى تنبيه الأمة من غفلتها التي كانت عليها آنذاك، وكان يرى أن الإصلاح لا بد أن يكون سياسيا يبدأ من الحكام ((قد اعتادت الأمة منذ قرون على أن لا تقبل إصلاحًا إلا إذا كان صادرًا من جانب القوة الحاكمة؛ ولذلك لم يوجد مستبد ظالم من سلاطينها وأمرائها حاول عملاً مضراً وقاومته فيه، بل تستبدل المساعدة له بالمعاندة، فإذا استفتى العلماء يحرفون له الكلم، فيفتونه، وإذا استرشد الوجهاء يبذلون له النفس والنفيس، فيرفدونه، ولأجل هذا لجأ السيد جمال الدين إلى عالم السياسة، وحاول أن يكون الإصلاح من جانب الملوك والأمراء؛ لتخضع له الأعناق، ويسري سريان الرياح في جميع الآفاق))⁽²⁰⁾.

ولهذا كان فكره السياسي يركز على أمرين:

الفرع الأول: تخليص البلاد الإسلامية من الاستبداد والحكام المتسلطين:

بدا السيد جمال الدين ذكر الأسباب التي أدت بالأمة إلى أن ترضى بالاستبداد، وذكر أسباب تسلط الحكام، فيقول في وصفه الأحزاب السياسية ((الأحزاب السياسية في الشرق نعم الدواء! ولكنها مع الأسف، لا تلبث حتى تنقلب إلى بئس الداء، نحسن نحن الشرقيين تأليف الأحزاب السياسية، لطلب الحرية والاستقلال، وكل العالم لنا أصدقاء ونضطر لتركها والكل لنا أعداء، والسبب العامل في ذلك عدم التكافؤ في القوى بين الأمة وأحزابها السياسية))⁽²¹⁾.

وبعدها يعلن الحزب انه جاء لخدمة الأمة، وتحريرها من الاستعباد، وتصدقه بوعوده بتحقيق العدالة والمساواة والرفاهية، فتتألف القلوب على كلمته، حتى اذا تمكن؛ ظهرت الأنانية والأثرة، وعندها تحصل النفرة منه، فينفرد عقده والناس له كارهون⁽²²⁾.

ويبين الأفغاني أن سبب الاستبداد بعد ما طاف اغلب بلدان الشرق والغرب أن ((التأخر والانحطاط والضعف من جانب، والتقدم والرقى في الجانب الآخر، رأى اتكالا وكسلا وموتا في قوم، وسعيا ونشاطا وحياة في الآخرين، ووجد سبب هذا التفاوت الكبير في اخذ الغربيين بأسباب العلم والمدنية وتمسكهم بأهداب الحرية، بينما خضع الشرقيون للحكم المطلق فعانوا استبداد الأمراء الظالمين، وتعرضوا لعدوان المستعمرين لتفشي الجهل والجمود والاستكانة فيهم))⁽²³⁾.

حيث وجد الأفغاني ((أن الاستبداد في الحكم هو من أهم مظاهر التأخر السياسي والاجتماعي في البلاد الإسلامية، لأنه ينتج منه أن يحكم فرد واحد شعبا أو أمة حسب هواه ومصلحته في تقوية عرشه وتكثير امتيازات أفراد أسرته، دون الرجوع إلى الأمة لاستشارتها، ممثلة في عقلائها وأولي الراي فيها))⁽²⁴⁾.

لم يكتف الثائر الإسلامي بتشخيص الداء الذي أصاب الأمة باستبداد حكامها، بل سعى إلى مواجهة هذا الداء بكل السبل، وكان جهده واضحا في كل البلاد الذي ذهب إليها في ايران، أو مصر، أو الاستانة، وبعد تشخيص الداء،

بدا بذكر الدواء الذي لابد للامة أن تأخذ به وهو كما قال: لا تحيا مصر، ولا يحيا الشرق بدوله وإمارته إلا اذا أتاح الله لكل منهم رجلا قويا عادلا يحكمه باهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان، لان بالقوة المطلقة، الاستبداد ولا عدل إلا مع القوة المقيدة، وحكم مصر باهلها، إنما اعني به الاشتراك الأهلي بالحكم الدستوري الصحيح⁽²⁵⁾.

ثم قال: اذا صح أن من الأشياء ما ليس يوهب فاهم هذه الأشياء: (الحرية) و(الاستقلال)، لان الحرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للامة عن طيب خاطر والاستقلال كذلك، بل هاتان النعمتان، إنما حصلت وتحصل عليها الأمم، أخذتا بقوة واقتدار يجبل التراب منها، بدماء أبناء الأمة الأمانة، أولى النفوس الأبية والهمم العالية.

أما تغير شكل الحكم المطلق، بالشكل النيابي الشوري، فهو ايسر مطلباً واقرب منالاً، إذ يكفي فيه أحياناً إرشاد الملك ونصحه من عقلاء مقربيه - فيفعله - ويشرك معه امته ورعيته ويرى بعد التجربة راحة وتضامناً ملكه وعزه بالتفاف طبقات الرعية حول عرشه بقلوب خالصة مخلصه، وحب صميمي - فيكون للملك الدستوري عظمة الملك!⁽²⁶⁾.

ثم يقول إن الرجل القوي العادل أما أن يكون موجوداً، أو تأتي به الأمة، فيحكمها على شرط الحفاظ على قانونها، وان هو خالف دستور الأمة؛ فإما أن يعزل بإرادته، أو بالقوة، ويقول هذا ما يجدر بالأمة فعله اذا خشيت من ملوكها قبول الحكم الدستوري.⁽²⁷⁾

ثم يقول: ((ومختصر القول إن الحكم للعقل والعلم، ومتى صادفت هاتان القوتان حملاً وجهلاً تغلبتا عليهما، وهكذا القول في حكم الفرد المطلق، فانه يكون ويدوم ما دامت الأمة تتخبط في دياجي الجهل، ومتى فشى العلم في الأمة فأول ما تناهض ذلك الشكل من الحكم وتعمل على التخلص منه (الأحزاب: ٦٢))⁽²⁸⁾

حيث كان يرى الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ان الأمة متى ما عم فيها الجهل والانحطاط والتخلف؛ كان ذلك سبباً في الاستبداد والتسلط من الحكام الذي كانت تعيشه الأمة آنذاك، وانها متى ما اتخذت العلم سبيلاً ومنهجاً، كان سبباً في نهضة الأمة وتقدمها كما كان عليه أسلافها من قبل، ومما يودي بالنتيجة إلى شكل الحكم الدستوري الذي كان دائماً يدعو له ويسعى اليه.

ولقد كان السيد جمال الدين من أكبر الداعين والداعمين للثورات ضد الحكام المستبدين والمحرّكين لها في كل مكان ذهب اليه، ففي إيران كان له الدور البارز في إذكاء روح الثورة والحماسة، فبعد أن مكث عدة اشهر في طهران وأثار في خطاباته الأذهان المستعدة، وأوقفهم على مطالب لم يكونوا قد سمعوها من قبل، فسرعان ما انتشرت بذور الإخاء والوحدة الإسلامية، وحب الحرية في القلوب، وأخذت بعض الكلمات تتسرب شيئاً فشيئاً إلى الأفواه بين العامة والسوقة، واخذ الناس يقولون أن السيد جمال الدين محق وصادق فيما يقول، وان الشاه رجل ظالم، يساوم على شعبه، مخرباً للبلاد لا هم له سوى إرضاء شهوته، والوزراء خونة لصوص همهم إرضاء الأجانب، لا يميلون إلى تعمير البلاد وتقدم الشعب. أين بيت مال المسلمين، أين جيشنا، أين تجارتنا، أين ثروتنا، أين اصلنا، أين معارفنا؟!.. فخاف رجال السراي مغبة

الأمر، وتؤكدوا انه لو بقي السيد شهرا آخر في طهران فقد تقوم الثورة وتنقلب أحوال الناس وبعدها امر الشاه بطرده من ايران بالقوة ونفيه إلى البصرة⁽²⁹⁾.

وفي مصر فقد وجد الأفغاني فيها حكما مستبدا وظالما؛ هدفه تحقيق مصالح الإنكليز، اكثر من تحقيق مصالح الأمة، فبث السيد جمال الدين في المصريين روح التطلع إلى الحرية ونبذ الاستبداد ومقاومة المستعمرين، بعد أن وجدهم أميين لا يقدرّون انفسهم ولا يدركون ما يحاك ضدهم، فأثارهم ودفّعهم إلى طريق التعلم والمطالبة بالحقوق وذلك عن طريق الكتابات في الصحف وفي خطبه وفي مجالسه العامة، مما أثار ذلك ضجة كبرى في مصر فصعدوا قرارا بسجنه ومن بعدها بطرده⁽³⁰⁾.

حيث لم تقف أفكار الأفغاني بإلقاء الخطب، وكتابة المقالات في الصحف، وحديثه في مجالسه العامة، بل ذهب إلى أكثر ذلك فقد سعى إلى تنظيم الجمعيات وتأسيس الأحزاب.

ولقد قال صاحب كتاب جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام: ((إن تنظيم (جمعية العروة الوثقى)، السرية، تنظيم سياسي وفكري، قاده أبرز أعلام الشرق في القرن الماضي، وفيلسوف يقظته السياسية والفكرية: جمال الدين الأفغاني .. وهو تنظيم تأسس وترعرع في الشرق العربي الإسلامي، وظهر نشاطه قبل سفر الأفغاني إلى أوروبا في أواخر سنة 1883م))⁽³¹⁾.

وكانت السنوات التي عاشها الأفغاني في مصر من اخصب حياته إبداعا ونشاطا، وكان يرى في مصر الأرض الخصبة؛ لما فيه مقومات قيادة العرب والمسلمين إلى النهضة التي كان ينشدها، منها المادية والبشرية، وكان يهدف من نشر أفكاره في مصر؛ جعلها الأنموذج الذي تكون فيها حركة النهضة واليقظة وتقود شعوب الأمة إلى المهمة الكبرى وهي صد الاستعمار الغربي، ورأى التفرد والاستبداد الذي كان يمارس من حكام مصر آنذاك؛ ابرز عقبة تحول دون الهدف الذي رسمه لمصر في قيادة الأمة إلى النهضة المنشودة، فكان يربي تلاميذه من خلال كتاباته على أنماط الحكم والحكومات التي عرفته البشرية، وحثهم على التبشير بالحكم الديمقراطي، والدعوة إلى المؤسسات الشورية النيابية وجعلها سبيلا لتطبيق روح الشريعة الإسلامية الداعية إلى الحرية والشورى والعدل والمساواة⁽³²⁾.

وتطبيقا لما كان يدعو اليه من عمل المؤسسات الدستورية وتنظيم الأحزاب، فقد كان ((الأفغاني أول من أقام تنظيما سياسيا وطنيا مصريا في العصر الحديث، وهو تنظيم "الحزب الوطني الحر" أما التغير الجذري الذي أراده الأفغاني لمصر والشرق، ودعا اليه "الحزب الوطني الحر"، فانه كان يستهدف إقامة مؤسسات نيابية تتكون من جماهير الشعب، وبواسطة هذه الجماهير))⁽³³⁾.

ومن ما سبق يتبين لنا أن الثائر والمصلح الأفغاني لم يكن ناصحا للامة مشخصا مشاكلها وداها فقط، بل كان مصلحا عاملا بالإصلاح يضع الحلول ويدعو الأمة إلى الأخذ بها، وكان يرى أن العلاج لمرض ظلم الحكام واستبدادهم

هو؛ ثورة الشعب على الحكام المستبدين وإزاحتهم بالقوة اذا هم رفضوا الإصلاح والقبول بالحكم الدستوري الشوري الذي كان يراه أي (الحكم الدستوري الشوري) هو الأصلح للامة.

الفرع الثاني: مقاومة الاستعمار

كان الثائر الإسلامي السيد جمال الدين الأفغاني من الثائرين والمناضلين ضد الاستعمار الأجنبي على البلاد الإسلامي وكان يدعو في كل البلاد الإسلامية إلى مقاومة الاستعمار وطرده من كل البلاد الإسلامية.

كان يصف الاستعمار فيقول: ((إن هذا الاستعمار لغة واصطلاحاً مصدراً واشتقاقاً لا أراه إلا من قبيل الأضداد وهو اقرب إلى الخراب والتخريب، وإلى الاسترقاق والاستعباد، منه إلى العمار وال عمران والاستعمار، لا تسير دول الاستعمار إلا إلى البلاد الغنية في ثروتها ومعادنها وخصب تربتها ومن كان أهلها في الدرك الأسفل من الجهل قد خيم عليهم الخمول، لا يبدون حراكاً ولا يقربون عراكاً))⁽³⁴⁾.

ثم يقول فيما معناه: وإن صادف الاستعمار أي مقاومة من أي مملكة، فبمجرد مناوشة من أسلحتهم الحديثة؛ سقط الملك أسيراً ذليلاً، وبعدها تنظم المملكة أو المقاطعة في سلك المستعمرات، ويصبح أعزة أهلها أذلاء ويحل الاستعباد بدل الحرية، وتنهب خيرات العباد، سواء بأي ذريعة احتلوا البلد سواء بلعبة الحرب أو غيرها⁽³⁵⁾.

ومختصر القول: ((إن الاستعمار بمعناه الصحيح ومبناه الصريح هو تسلط دول وشعوب أقوياء علماء على شعوب ضعيفة جهلاء، ولا يخرج عامل الغلب والقهر عما ذكرناه فيما سبق وهو ((القوة والعلم)) يحكمان ويتحكمان بالجهل والضعف، سنة ثابتة ومتحكم في الكون... اروني مملكة أو أمة انغمس ملوكها وأمراؤها بالسفاهة والسرف وعم الجهل طبقات الشعب وتفرقت كلمتهم فاستكانوا للذل والهوان لم تسقط تلك الملوك والأمراء عن عروشها ولم يستعبدوها الاستعمار ويحل فيها الدمار.))⁽³⁶⁾

إذن كانت سياسة الأفغاني: تعريف البلاد الإسلامية بالاستعمار وخطره على الأمة حيث كان ((ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب، ومن تاريخ الأمة الإسلامية نفسها، كما ينتزع الشواهد المحسوسة التي تفرغ المسلمين من السياسة الاستعمارية في البلاد الإسلامية "في الهند ومصر على الخصوص".. هذه الأمثلة التي كان ينتزعها من شواهد الحياة الإسلامية ومظاهرها في وقته، مع بيان مدى ألعاب السلطات الأجنبية ودسائسها، وهدفها الذي نهايته بسط النفوذ الأوروبي لصالح الجماعة الأوروبية وحدها على رقعة العالم الإسلامي.))⁽³⁷⁾

وكان يخطب في الهند يحثهم على مقاومة الاستعمار فيقول: ((يا اهل الهند، وعزة الحق وسر العدل، لو كنتم وانتم تعدون بمئات الملايين ((ذباباً)) مع حاميتكم البريطانيين ومن استخدمتهم من أبناءكم فحملتهم سلاحاً لقتل استقلالكم واستنفاد ثروتكم - وهم بمجموعهم لا يتجاوزون عشرات الألوف - لو كنتم انتم مئات الملايين كما قلت ذباباً !! لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى ويجعل في آذان كبيرهم المستر ((غلاستون)) وقراً... فما أتم جمال الدين كلامه حتى

اذرف الحاضرون الدموع، فقال إذ ذاك بصوت عال: اعلموا أن البكاء للنساء والسلطان محمود الغزنوي ما أتى إلى الهند باكيا، بل أتى شاكيا للسلاح، ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت في سبيل الاستقلال بثغر باسم⁽³⁸⁾

فبعد أن ذكر أمراض الأمة التي من خلالها هيمن الاستعمار الأجنبي على مقدرات الأمة وهي: الضعف، والجهل، والتفرقة، والتخلف.

ولهذا كانت أفكاره في مواجهة وصد هذا الاستعمار تتلخص فيما يلي:

أ. تحريك المسلمين ودفعهم إلى الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل حريتهم واستقلالهم، ويتجسد ذلك من خلال كلماته وخطبه ومقالاته التي كان يقول فيها: الحرية، والاستقلال هاتان نعمتان لا توهبان وإنما تنزعان بقوة واقتدار⁽³⁹⁾.

ب. حث الأمة ودفعها إلى الأخذ بالعلم كسلاح لمواجهة الاستعمار، لان الجهل والتخلف الذي أصاب الأمة من اهم الأسباب التي أدت إلى سيطرة الدول الأجنبية على بلاد المسلمين كما بيناه سابقا، وحيث يقول ((فحياة الشرقيين بالعلم الصحيح، موت لحكم الغرب فيهم وفك الحجر عنهم، والعكس بالعكس))⁽⁴⁰⁾.

ت. دعوته إلى الوحدة الإسلامية ونبذ التفرقة، وكان دائما ينصح الأمة في كل مقالاته وخطبه بضرورة توحيدهم وترك خلافاتهم، وكان يزرع فيهم روح الوحدة ويذكرهم بانهم أمة واحدة ويثبت لهم ذلك بالأدلة القطعية للقران والسنة المطهرة، ويذكرهم بماضي الأمة وحاضرها، وكيف كانت الأمة في الماضي موحدة مجتمعة في ظل تعاليم القران، وكيف أصبحت الآن مفرقة متناحرة حتى وصلت التفرقة إلى الملوك والسلاطين، بعد ان كانت بين العلماء⁽⁴¹⁾.

ولهذا دعا السيد جمال الدين الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية ((التي يكون فيها وازع المسلمين شريعتهم المقدسة الإلهية التي لا تميز بين جنس وجنس، بل يسري على الكل قانون واحد، لا يمثل مصلحة جماعة على حساب مصلحة جماعة أخرى، بل يمثل قيمة الإنسان من حيث هو عبد الله رب العالمين، واستدل الأفغاني لهذا بالقران والسنة ووقائع التاريخ الصحيح، وهو يذكر المسلمين في زمانه بهذه الحقيقة، لأنها جامعتهم التي تمنحهم القوة، وتحميهم وتدفع عنهم مطامع الأعداء وتحول بين الضعاف من ملوك ورؤساء المسلمين في الارتقاء في أحضان الدول الكبيرة، لأنه يتقوى بإخوته... ومن نافلة القول أن أقول أن دعوة الأفغاني لتجديد هذه الرابطة الإسلامية والتمسك بها كانت تعبر عن إيمانه العميق بقدرتها وحاجة المسلمين الماسة إليها في المرحلة التي كانوا يمرون بها، وهم كانوا يواجهون الدول الاستعمارية الكبرى التي كانت تريد الفتك بهم وببلادهم))⁽⁴²⁾.

ومجمل ما تقدم يلخص الأفغاني الأشياء التي إن توفرت في الأمة؛ لن تنهزم ولن تغلب وإن كانت هذه الدولة صغيرة، فيقول ((وهاتوا مملكة أو قارة اتفقت كلمة أهلها وانفت من الذل ورفضت الاستعمار واستلت السيف وطاب لها الحنف ولم تنل استقلالها والتمتع بحريتها ولو كان المستعمر اعظم الدول قوة واقتداراً))⁽⁴³⁾.

((ومن اكبر أعمال حياته السياسية إنشاؤه جريدة (العروة الوثقى) التي تعد الحجر الأول أو (حجر الزاوية) للنهضة الشرقية عامة، تلك الجريدة التي كادت تزعزع أقدام السيطرة الإنكليزية عن الهند ومصر في مقالاتها الرنانة التي جابت الآفاق وكادت تخرق السبع الطباقي))⁽⁴⁴⁾.

وتشرح المجلة مقصد جمال الدين السياسي فتقول: ((أما مقصده السياسي الذي قد وجه إليه أفكاره واخذ على نفسه السعي إليه مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء في سبيله فهو إنحاض دولة إسلامية من ضعفها وتنبهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للإسلام شأنه وللدین الحنيفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الأقطار الشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الإسلامية))⁽⁴⁵⁾.

وأخيراً قد اجمع المؤرخون والباحثون أن السيد جمال الدين الأفغاني، كان سبباً مهماً في حركة الجهاد في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، حتى استكملت في القرن العشرين، مما أدت إلى تحرير كثير من البلدان الإسلامية من الاستعمار⁽⁴⁶⁾.

المطلب الثاني: أفكاره النهضة الدينية: وتتضمن أفكاره الدينية ثلاثة فروع

الفرع الأول: الدعوة إلى العودة إلى الكتاب والسنة: كان الأفغاني يرى ((القران وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية، أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم، فينبغي أن لا نعول عليه كوحى، وإنما نستأنس بها كراي ولا نحملها على اكفنا مع القران في الدعوة اليه، وإرشاد الأمم إلى تعاليمه لصعوبة ذلك وتعسره وإضاعة الوقت في عرضه))⁽⁴⁷⁾.

إن السيد الأفغاني كان يرى أن التقيد بالنصوص لا يكون إلا بالقران والسنة، وما عدهما على العلماء أن لا يتقيدوا بالنصوص الخاضعة للاجتهاادات البشرية، والنظر مباشرة إلى القران والسنة والاستنباط منهما وفقاً لأسس الاستنباط الأصولي وقانون اللغة والبلاغة، وكان يرى أن على المسلمين اتباع طريقة القران الواضحة في الاستدلال، وترك النظريات الفلسفية والكلامية المعقدة في تفسير القران التي تبعدهم عن حقائق القران ومنهج القويم⁽⁴⁸⁾.

فكان يرى أن بث تعاليم القران، وشرحها على الوجه الصحيح؛ تأخذ بالأمة إلى سعادة الدنيا والآخرة، فكان يرى أن الإصلاح الديني يأتي من القران والسنة، من خلال فهم النصوص على وجهها الصحيح وإزالة الأفكار الخاطئة التي رسخت في عموم عقول المسلمين، ومعظم الخاصة مثل فهمهم نصوص القضاء والقدر على انه الاستسلام، وعدم الحركة إلى طلب مجد، أو تخلص من الذل، وغيره من النصوص التي فهمت على غير مقصدها؛ مما أدى إلى تقاعس الأمة عن الإصلاح والنجاح الذي كان عليه السلف الصالح⁽⁴⁹⁾.

ويرى أن المسلمين أولى بالإصلاح الديني من غيرهم فيقول: ((أما المسلمون فدينهم ما في القران، وهو محفوظ من التغيير والتبديل، وليس من شأنه أن يضغط على نفوسنا، ولا أن يعطل حريتنا، وهو جدير بان يكون سبباً لسعادتنا، وجمع كلمتنا في هذه الزمنة الحاضرة، كما كان سبباً لسعادة أسلافنا وجمع كلمتهم الغابرة))⁽⁵⁰⁾.

ومن هذا كان يرى الأفغاني أن الإصلاح الديني، يأتي من الفهم الصحيح للقران والسنة النبوية الصحيحة، وأن التمسك به فيه سعادته في الحاضر كما سعادته به الأولون في الغابر.

الفرع الثاني: نبذ التعصب المذهبي وإنكار البدع: ((عُرف جمال الدين باستنكافه ونفوره من التقليد من غير تحييص، فكان يأخذ بالأحسن من الأقوال، ويرد الضعيف منها ويجتهد للاستنباط للأولى ويتناول الأقرب للصواب وما يقبله العقل، ثم ذكر في مجلسه قولاً للقاضي عياض اتخذوه حجة، وانزلوه مقام الوحي))⁽⁵¹⁾.

((فقال جمال الدين: يا سبحان الله إن القاضي عياضاً قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله وتناول فهمه وناسب زمانه، فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو اقرب للحق وأوجه واضح من قول القاضي عياض أو غيره من الأئمة؟ وهل يجب الجمود والوقوف على آراء الناس (هم انفسهم لم يقفوا عند حد أقوال من تقدمهم))⁽⁵²⁾.

وقالوا له إن باب الاجتهاد مسدود فقال: ((ما معنى باب الاجتهاد مسدود؟! وبأي نص سُدَّ باب الاجتهاد؟! أو أي إمام قال لا ينبغي لاحد من المسلمين بعدي ان يجتهد ليتفقه في الدين؟! أو أن يهتدي بمهدي القران وصحيح الحديث أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه؟! ولا ينافي جوهر النص))⁽⁵³⁾.

ويعلل قوله: بان القران نزل بلسان قومه وهو لغة العرب، إبراهيم: ٤ وكذا يوسف: ٢ لكي يفهم ويتدبر المسلم آياته ويستنبط منه ومن صحيح الحديث اذا كان عالماً بعلوم اللغة، وطرق الإجماع؛ والقياس، جاز له الاستنباط من القران وصحيح الحديث والقياس، ثم يقول: بانه لاشك عندي انه لو أُتيح للأئمة الأربعة (رحمة الله عليهم) أن يعيشوا في عصرنا؛ ليجتهدوا وجددوا واستنبطوا لكل قضية حكماً من القران والسنة المطهرة بما يناسب عصرنا، وان كل ما قاموا به من التراث العظيم الذي خلفوه للامة لا يعدو ذلك إلا فطرة في بحر مما حواه القران وصحيح السنة⁽⁵⁴⁾.

((وهكذا كانت دعوته الدينية دعوة إلى التجديد والاجتهاد، وتطهير الدين من الشوائب والبدع والتفاسير، وجعله قانوناً متطوراً يساير الحياة المتطورة، ويوحي بالسعي والتقدم والإبداع، والإشفاق من أن يصبح أثراً جامداً أو حرفاً ميتاً في شروح الرجعيين ومتون المفسرين الذين لم يفهموا نصه وروحه على وجهيهما الصحيح))⁽⁵⁵⁾.

الفرع الثالث: دفاعه عن الإسلام: ويتكون هذا الفرع من نقطتين: الرد على الدهريين، ورده على رينان⁽⁵⁶⁾.

أ. الرد على الدهريين: ((أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد، وأودع نفوسهم ثلاث خصال، العقيدة الأولى: التصديق بأن الإنسان ملك أرضي، وهو أشرف المخلوقات، العقيدة الثانية: يقين كل ذي دين بأن أمته أشرف الأمم، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل، العقيدة الثالثة: جزمه بأن الإنسان إنما ورد هذه الحياة الدنيا؛ لاستحصال كمال يهيئه للعروج إلى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي، والانتقال به من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات، جديرة بأن تسمى «بيت الأحران وقرار الآلام» إلى دار فسيحة الساحات، خالية من المؤلمات، لا تنقضي سعادتها، ولا تنتهي مدتها))⁽⁵⁷⁾.

أما الخصال الثلاث فهي: الحياء، والامانة، والصدق.

الحياء: وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمة، وينحى عليها بالتوبيخ، وتأثرها من التلبس بما يعدّ عند الناس نقصاً.

الامانة: ومن المعلوم الجليّ أنّ بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال، وروح المعاملة والمعاوضة إنّما هي الأمانة، فإن فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة، وانبترت حبال المعاوضة، فاحتلّ نظام المعيشة، وأفضى ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل.

الصدق: الإنسان كثير الحاجات، غير معدود الضرورات، وكلّ ما يسدّ حاجاته ويدفع ضروراته، وراء ستار الخفاء محجوب، وتحت حجاب الغيب مكنون⁽⁵⁸⁾.

كان الأفغاني يحاول إقامة البراهين على أن الدهريين بلاء على المجتمع وانهم الجرثومة التي تنخر بجسد الأمة، وإن أي أمة ابتليت بهم سقطت وانهارت، فهي تحاول القضاء على الدين الذي هو اعظم ضابط للمجتمع الإنساني، وانها تقضي على الثلاث عقائد والثلاث خصال، وبإبطاهم هذه العقائد والخصال؛ يصلون إلى مرادهم بإبطال الأديان وأنظمتها الأخلاقية والوصول بالإنسان إلى منزلة البهائم، ثم يقول: إنها (الدهرية) ما تمكنت من أمة إلا دمرتها ويضرب مثلاً باليونان، وبلاد فارس، وحتى البلاد الإسلامية التي رفعها الله بالإسلام وأنارت الدنيا بالعلم والحضارة والقيم لم تسلم منها فظهرت باسم الباطنية فافسدوا عقول المسلمين بتأويلات باطنة، وإن الدولة العثمانية ما ضعفت إلا بوساوس الدهريين التي دبت في نفوس أمرئها⁽⁵⁹⁾.

وبعد ذلك يرى الأفغاني أن الإسلام هو الذي يقاوم هذه المادية والحيوانية من خلال الآتي:

أولاً: إن الإسلام يصقل العقول بصقال التوحيد، ويطهرها من لوث الأوهام وهو يعني أن التوحيد انتماء يحفظ للإنسان والعقل كيانه عكس تعدد الانتماءات التي تمزق.

ثانياً: الإسلام يفتح الباب أمام شرف النفس وسموها دون واسطة، والطموح للبلوغ بها إلى مراتب الكمال الإنساني ما عدا مرتبة النبوة.

ثالثاً: ينفرد بانه لا يقبل من المعتقد اعتقاد من غير دليل وفهم، فلا بد أن تكون العقيدة مبنية على البراهين والأدلة الصحيحة.

رابعاً: انه يحث على تعليم كل الأمة وتنويرها، وإن تكون من كل أمة طائفة من العلماء يأمرهم بالمعروف وينهون عن النكر⁽⁶⁰⁾.

ب. مناقشة رينان ورده : إن من أهم النشاطات التي قام الأفغاني بها في باريس، مناقشته ورده على الفيلسوف الفرنسي "ارنست رينان" الذي القى محاضرة في السوربون تناولت نقطتين مهمتين: الأولى: أن الديانة الإسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم. الثانية: إن الأمة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة⁽⁶¹⁾.

وكانت عقيدة رينان هي: ((ان دين المستقبل هو النزعة الانسانية، أي عبادة كل ما ينتمي إلى الإنسان وتقديس الحياة ورفعها إلى قيمة معنوية، وانطلاقا من هذا التوجه العلمي فقد امتعن رينان Renan الحضارة العربية الإسلامية خاصة والسامية عامة كونها تعكس إيمانية متعصبة، وجبرية (قدرية) كسولة، وصرامة غير سمحة، واحتقارا للفنون، فضلا عن مناهضة التفكير العلمي الفلسفي، وهكذا هاجم رينان الإسلام متهما إياه باللاعقلانية وعدم القدرة على استيعاب الحياة بما فيها من ثقافة وعلم))⁽⁶²⁾.

ويلخص محسن عبد الحميد رد الأفغاني على رينان على النقطتين المذكورتين: ((إن ما ذكره رينان عن الإسلام ليس من طبيعته ونتيجة تعاليمه، بل من عمل بعض من اعتنقوا الإسلام في بعض العهود، وان الاضطهاد الذي قال عنه رينان قد وقع مثله في الأديان الأخرى في صورة اشد، وأما عن قوله: إن الإسلام لا يشجع العلم، فان الكل يعلم إن العرب خرجوا من حال البداوة التي كانوا عليها قبل الإسلام، واخذوا يسرون في طريق التقدم والعلمي والفكري بسرعة لا تعادلها إلا سرعة فتوحاتهم الإسلامية، فتقدمت العلوم تقدما مذهشا بين العرب وفي كل البلاد التي انضمت لسيادتهم، وقد تراجع رينان عن مقالته أمام قوة منطق جمال الدين العلمي والتاريخي))⁽⁶³⁾.

التوصيات والمقترحات:

أوصي بعد الكتابة في هذا الموضوع، لأنه قد اشبع بحثا، وقد والفت كتب كثيرة وبحوث ورسائل الجامعية ومقالات في شخصية جمال الدين الأفغاني وأفكاره.

الخاتمة والنتائج: من خلال بحثي توصلت إلى النتائج التالية:

1. دعوة شعوب الشرق والأمة الإسلامية إلى الثورات ضد الحكام المستبدين، ونبد الحكم الفردي الشمولي، والدعوة إلى حكم شعوري دستوري يكون الشعب فيه هو الحاكم.
2. مقاومة الاستعمار بالقوة وطرده من البلاد الإسلامية ومن الشرق، وذلك من خلال وحدة الأمة تحت مظلة الجامعة الإسلامية، وتمسكها بالعلم.
3. القرآن والسنة الصحيحة هما عماد الأمة ومصدرها، فلا بد من العودة إليهما والتمسك بهما، وفهمهما على الوجه الصحيح يؤدي إلى سعادة الأمة في دينها وآخرتها.
4. الدعوة إلى التجديد والاجتهاد في الدين، من خلال فتح باب الاجتهاد، وترك التقليد الأعمى، ونبد التعصب.

5. إن الدين عموماً يفيد الإنسان ثلاث عقائد وثلاث خصال، وإن هذه العقائد والخصال لا يوجد أي دين يستطيع أن يحققها إلا الإسلام.
6. إن الإسلام بريء مما ينسب إليه من بعض أفراد الذين أساءوا فهمه، لأنه ليس من طبيعته وتعاليمه، وإن العرب ما تقدموا في المجالات كافة إلا بالإسلام.
7. وأخيراً يتبين أن السيد جمال الدين الأفغاني كان يسعى إلى نهضة دينية تنهض بالأمة من رقودها وتحلفها، وتعود كما كانت في الماضي المشرق من تاريخها، ويكون أساس هذه النهضة القرآن وصحيح السنة.

الهوامش:

- (1) ينظر: العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني (ت: 1314 هـ - 1897 م) ومحمد عبده (1323 هـ - 1905)، مطبعة التوفيق - بيروت لصاحبها نسيب صبرا، 1328 هـ. ص ج، د، هـ، وينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: 1396 هـ)، دار العلم للملايين، ط 15، ايار / مايو 2002 م، دون مكط، ج 6/ص 169. وينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه، محسن عبد الحميد، مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا، ط 1، 1304 هـ 1983 م، ص 29 و 174.
- (2) ينظر: الأعلام، للزركلي، ج 6/ص 169. وينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه، محسن عبد الحميد، ص 29 و 174.
- (3) الشيخ محمد عبده، (1266 - 1323 هـ = 1849 - 1905 م)، محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة). ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدى. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوهم. وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن 3 أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة 1299 هـ (1881) وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة 1306 هـ (1888) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية (سنة 1317 هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. له (تفسير القرآن الكريم - ط) لم يتمه، و (رسالة التوحيد - ط) و (الرد على هانوتو - ط) و (رسالة الواردات - ط) صغيرة، في الفلسفة والتصوف، و (حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية - ط) و (شرح نهج البلاغة - ط) و (شرح مقامات البديع الهمداني - ط) و (الإسلام والرد على منتقديه - ط) من مقالاته، و (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - ط) الأعلام للزركلي (6/ 252).
- (4) خطرات جمال الدين الحسيني الأفغاني، محمد باشا المخزومي (ت: 1348 هـ - 1930 م)، إعداد وتقرير: سيد هادي خسرو شاهي، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، ط 1، 1423 هـ - 2002 م، ص 77.
- (5) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوي، دار القلم - الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1، 1412 هـ، ص 643.
- (6) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي (ت: 711)، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414 هـ. ج 5/ص 65.
- (7) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 8، 1426 هـ - 2005 م، ج 458/1.
- (8) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت: 770 هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، دون سنط، ج 2/ص 479.
- (9) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1403 هـ - 1983 م، ص 168.
- (10) إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي، طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر، 2001 م، ص 72.

- (11) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د، ط) 1399هـ - 1979م، باب نهض، ج 5/ص 363.
- (12) المصدر نفسه، ج 5/ص 363.
- (13) موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 2002م، ج 2/ص 19-20.
- (14) لماذا أخفقت النهضة العربية، محمد وقيدى، أحمد النيفر، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2002م، ص 29.
- (15) ينظر: المصدر نفسه، ص 31-32.
- (16) رواه، أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، باب ما يذكر في القرن المائة، 178/4، رقم الحديث 4293.
- (17) ينظر: قضايا الفكر الإسلامي الحديث، محمد عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 170.
- (18) النهضة من الصحوة إلى اليقظة، جاسم سلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ط 4، 1431هـ، 2005م، ص 17.
- (19) ينظر: المصدر نفسه، ص 17-18.
- (20) مجلة المنار، محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ - 1935م)، مطبعة المنار، 1315هـ، ج 2/ص 242.
- (21) خاطرات جمال الدين الحسيني الأفغاني، محمد باشا المخزومي، ص 78.
- (22) ينظر: خاطرات الأفغاني، ص 78.
- (23) ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدين الأفغاني محمد عبده سعد زغلول، قدرى قلعي، دار الكتاب العربي - بيروت، دون سنط، ص 23.
- (24) جمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه، محسن عبد الحميد، ص 44.
- (25) ينظر: خاطرات الأفغاني، ص 83.
- (26) خاطرات الأفغاني ص 84
- (27) ينظر: المصدر نفسه، ص 84
- (28) المصدر نفسه، ص 78
- (29) ينظر: حقيقة جمال الدين الأفغاني، ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. عبد النعيم حسنين، دار الوفاء - المنصورة، ط 1، 1406هـ - 1986م، ص 73-75.
- (30) ينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه ص 18 و 19
- (31) جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، د. محمد عمارة، دار الشروق - القاهرة، ط 2، 1408هـ 1988م، ص 229.
- (32) ينظر: المصدر نفسه، ص 230 و 231 و 232
- (33) جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، د. محمد عمارة، ص 234 و 236.
- (34) خاطرات الأفغاني، ص 243.
- (35) ينظر خاطرات الأفغاني، ص 244
- (36) المصدر نفسه، ص 244 و 246
- (37) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي (ت: 1402هـ)، مكتبة وهبه، ط 10، ص 64
- (38) خاطرات الأفغاني، ص 33.
- (39) ينظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني ص 83. وينظر: وجمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه ص 47.
- (40) ثلاثة من أعلام الحرية، ص 25
- (41) ينظر جمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه ص 49 و 50 و 51.
- (42) جمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه، ص 175.
- (43) خاطرات الأفغاني، ص 246.
- (44) العروة الوثقى ص أ
- (45) العروة الوثقى ص ز
- (46) ينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفتى عليه، ص 48

- (47) جمال الدين الأفغاني ذكريات واحاديث، عبد القادر بن مصطفى المغربي الطرابلسي (ت: 1375-1956)، دار المعارف سلسلة أقرأ، ط3، دون سنط، ص62 و63
- (48) ينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفتري عليه ص33
- (49) ينظر: جمال الدين الأفغاني ذكريات واحاديث، المغربي، ص102
- (50) عبد القادر المغربي جمال الدين الأفغاني، ص101 و102
- (51) خاطرات الأفغاني، ص150
- (52) المصدر نفسه، ص150
- (53) المصدر نفسه، ص150 و151
- (54) ينظر: خاطرات الأفغاني، ص151.
- (55) ثلاثة من أعلام الحرية، ص21.
- (56) أرنسست رينو، (1823م-1892م) كاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس. ،طبعًا قامت كاثوليكية لذلك وقعدت وأرغت وأزبدت. فاشتهر أيضًا بتعريف للقوم وخاض نقاشًا حاد مع المفكرين الألمان الذين كانوا يرون سكان منقضي ألاس ولورين (الفرنسيين اللتين كانت ألمانيا تحتلها منذ 1870) ألمان من حيث العرق فرد رينان قائلًا إن الانتماء إلى قوم ليس مسألة عرق بل مسألة إرادة ووصفه بالاستفتاء اليومي. فلا يزال هذا التعريف للقوم يلعب دورًا كبيرًا في تصور الفرنسيين لشعبهم وهويتهم. فلذلك أصبح رينو رمزًا من رموز فرنسا الجمهورية العلمانية القومية وأطلق اسمه على كثير من المدارس والمباني العمومية. ينظر: موقع الويكيبيديا.
- (57) الرد على الدهريين، جمال الدين الأفغاني(ت: 1314هـ - 1897م) تقديم: الشيخ محمد عبده، تحقيق: محمد حامد محمد، دون مكط، ودون سنط، ج2/ص4.
- (58) ينظر: المصدر نفسه، ج2/ص8-10.
- (59) ينظر: الرد على الدهريين، ص11.
- (60) ينظر: جمال الدين الأفغاني المصلح المفتري عليه من ص165 إلى 171
- (61) ينظر: منهج الأفغاني العقلي في دفاعه عن الإسلام - مجلة جامعة دمشق - المجلد 24 العدد الأول +الثاني 2008 - ت زاهد روسان ص372 و373.
- (62) منهج الأفغاني العقلي في دفاعه عن الإسلام - مجلة جامعة دمشق، ص373.
- (63) جمال الدين الأفغاني المصلح المفتري عليه ص23